تستطيع ان تنسى خدماتها الجلّى اصر منذ الاحتلال كما انّها في حاجة الى مراقبة احوالها لوقوعها في طريقها الى الهند. ولا يُنكر انّ مصر تحتاج الى مساعدة دولة قويّة تعينها في ترقيها الاقتصادي. ليست من دولة تجاري بريطانية في سعة تجارتها

وكذلك يجب على المصريين ان يوثّقوا روابط الوحدة بينهم وبين العناصر التي تسكن مصر. فهناك الشركات الاوربيّة الضابطة كثيراً من اشغال مصر والتي بفضلها تجاري المدينة عواصم البلاد. وهناك المهاجرون من يونان وارمن وشوام فاكسبوا مصر بنشاطهم وبراعتهم مقاماً رفيعاً في التجارة والصناعة والحياة الادبيّة بحيث فاقوا بها على كثيرين من المصريين الوطنيين

فعسى تمتزج كل هذه العناصر وتحييهم روح واحدة خدمة الوطن الذي حلّوا فيه تحت رعاية جلالة الملك فؤاد المشبع بمعرفة احوال البلاد مع حبه المخلص لرقي شعبه

مرسل يسوعي الى الشرق شهيد الثورة الفرنسوية

الطوبوي روبر فرنسوا غيرين دي روشه

لحضرة الاب ج. لوبون اليسوعي

في اليوم الثاني من شهر ايار الماضي احتفلنا لاوّل مرّة بذكر الطوبويين الذين استشهدوا في زمن الثورة الفرنسويّة. وقد سبق الكلام عن اولئك الشهداء وخصوصاً عن المنتسبين منهم الى الرهبانيّة اليسوعيّة (المشرق في عدد شباط ص ١٤٥) كما نُشرت ايضاً ترجمة واحد منهم الطوبوي سالومون من اخوة المدارس المسيحيّة (عدد ايّار ص ٣٣١). وها نحن نورد هنا اخبار شهيد آخر يستحقّ ذكراً خصوصيّاً كرسل الى بلاد الشرق ألا وهو الطوبوي روبير فرنسوا غيرين دي روشه (Robert-Fr. Guérin des Rochez). وكان للمذكور اخ اصغر منهُ يسوعي مثلهُ يدعى پيار استشهد معهُ في ٣ ايلول ١٧٩٢. وقد استوطن روبير مدينة سالونيك وتعيّن كخادم رعيّتها

اللاتينيَّة وحتى اليوم يُرى اسمهُ معلَّقاً على سجلَّاتها اثباتاً لعماد اهلها وزواجهم ودفنهم

١ الراهب والمرسل (١٧٣٦–١٧٧٤)

كان مولد روبير دي روشه في ٢٣ تشرين الاوَّل سنة ١٧٣٦ في بلدة ريبا (Repas) من ابرشيَّة مدينة سي (Séez) وكان من اسرة شريفة بلغ اولادها السبعة تكهَّن منهم اربعة وترهَّب اثنان وهما الشهيدان اليسوعيَّان . دخل روبير مدرسة الآباء اليسوعيين في مدينة « كان » (Caen) بعد ريعان الشباب لكنهُ بنشاطهِ لم يلبث ان سبق رفاقهُ ولا تزال اسرتهُ حافظة للجوائز التي نالها في زمن دروسهِ . ولمَّا انهى دروسهُ البيانيَّة طلب الترهُّب بين ابناء القدّيس اغناطيوس في ٢٥ ايلول سنة ١٧٥٢ . فتدرَّب على الآداب الرهبانيَّة في باريس وابرز بعد اتقانها النذور الرهبانيَّة ثمَّ انقطع الى درس الفلسفة مدَّة سنتين في مدرسة باريس الشهيرة باسم لويس الرابع عشر ثمَّ انتدبهُ الرؤساء مدَّة خمس سنين للتعليم في عدَّة مدارس اعرب فيها عن توقُّد ذهنهِ واصالة عقلهِ وسعة معارفهِ الادبية

وفي اثناء ذلك تمكَّن اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة بدسائسهم من نفي اليسوعيين من مدارسهم في فرنسة سنة ١٧٦٢ فاضطرَّ روبير الى ان يدرس اللاهوت في البلاد الاجنبيَّة وفيها سيم كاهناً وختم محنهُ الرهبانيَّة . وارسلهُ رؤساؤهُ بعدها الى تركيَّة فتعيَّن واعياً للنفوس في مدينة سالونيك فانَّنا نراهُ منذ السنة ١٧٦٩ في ١٥ شباط منها يسير في جنازة احد اهلها ويقرِّر ذلك بامضائهِ « الاب غيرين دي روشه اليسوعي كاهن الرعيَّة »

وقد افادنا المترجم بانهُ تعيَّن رئيساً على دير سالونيك مدَّة خمس سنوات وقاسى فيها ضروب المشقَّات والاتعاب . وذلك اوَّلاً لان تلك الرسالة كانت في غاية العوز والفقر حتى انَّ الرئيس يأخذهُ العجب من ثبات المرسلين تلك المدَّة على مثل هذه العيشة الضنكة والشظفة . وثانياً لانَّ اشغالهم كانت غاية في العناء لانَّ المرسلين لم يزد عددهم على اثنين او ثلاثة ومع قلَّة عددهم كان قد عُهد الى تدبيرهم امر الكاثوليك ليس

في سالونيك وحدها بل في كل المدن المحدقة بها مثل كاتالا وبريشتا وطاسوس فيقضي عليهم ليلاً مع نهار ان يطرقوا تلك الجهات الشاسعة لمساعدة اهلها في كل حاجاتهم الروحية والادبية كتعليم الصغار وارشاد الشعب وعيادة المرضى وتوزيع الاسرار على الرغم من انواء الشتاء وحرارة الصيف ولاسيما في أيام الوباء والطاعون الذي كان يتكرر حدوثهُ في ذاك العهد فيفتك بالسكان فتكاً ذريعاً ويذهب بحياتهم في ساعات قليلة

لكنَّ هذه المشقَّات كلها ما كانت لتثبط عزم المرسلين . وكان رئيسهم مستعدًّا ان يقضي حياتهُ متفانياً في خدمة القريب لولا ما بلغهُ في السنة ١٧٧٣ من إلغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة ببراءة البابا اقليمس الرابع عشر فكانت تلك الضربة لازبةً اذ انقطعت عنهم كلّ وسائط المعاش فالتزم الاب دي روشه ان يعود الى فرنسة على مركب شراعي فوصل الى وطنهِ بعد اربعة اشهر في ٨ ايار ١٧٧٤ خالياً من كلّ مصروف ومن كل مأكول وملبوس بعد ان قرضهُ قوم من رفقتهِ الركَّاب ما لا بُدَّ لهُ لحفظ حياتهِ .

ومِمَّا اضطرَّهُ الى الاسراع في السفر الى فرنسة داعٍ آخر . وذلك انهُ كان في خدمة الآباء في سالونيك شابٌّ يوناني ذو فهم عجيب وخصائل فريدة وكان يترصَّدهُ اعداؤه لمَّا رأوهُ منحازًا الى الكثلكة ليفتكوا بهِ وكانوا يتهدَّدون المرسلين بسببهِ . فاسرع الاب دي روشه واستصحبهُ معهُ سرًّا صيانةً لايمانهِ وشرفهِ وبرارتهِ مهما كلَّفهُ ذلك من المصاريف مع فقرهِ فنجا كلاهما من ايدي اولئك الاعداء .

٢ الاب روبير دي روشه في باريس (١٧٧٤ــ١٧٩٢)

وصل الاب روبير الى باريس وسار الى منزل اخيهِ الاب پيار وسعى معهُ في تهذيب الغلام اليوناني واعداده لوظيفة يقضي فيها حياتهُ بعيشة راضية . ثم اخذ يطلب لنفسهِ شغلاً بين اكليروس باريس ليخدم النفوس بغيرتهِ المألوفة

واذا كان قد تحمَّل الديون لسفرهِ وقبضت املاك رهبنتهِ في سالونيك رفع دعواهُ الى ارباب الدولة وبيَّن حقوقهُ ليحصل على تعويض ومعاش كما وعدوهُ عند

ضبطهم لمقتنيات اليسوعيين. لكنَّ تقاريرهُ هذه بقيت دون جواب مدَّة زمن طويل الى ان عاد الى فرنسة سفيرها الى تركيَّة الكونت دي ڤرجان (C^te de Vergennes) فأقرَّ بحقوقهِ ونال لهُ سنة ١٧٧٨ راتباً امكنهُ بهِ ان يفي ديونهُ ويعيش مستقلًّا ويتفرَّغ لاعمال الكهنوت

وكان اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة قد اوصدوا دونها معظم الاشغال الكهنوتية بعد الغاء رهبانيَّتهم فلم يبقَ للاب روبير سوى خدمة بعض الجمعيَّات الرهبانيَّة فخدم اوَّلًا سنة ١٧٧٦ كنيسة قالدون (Valdone S^t Avit-les-Chateaudun). فكان يسعى جهدهُ في صلاح النفوس سرًّا او جهارًا

وكان يجبُ ان يحافظ على قدر استطاعتهِ على عيشتهِ الرهبانية ولاسيما الفقر فكان يتجرَّد من كل مقتنى زائد راضياً بالزهد التامّ. وكانت معاملاتهُ مع اسرتهِ دليلًا على تجرُّده لا يباعثهم في غير امور الروح والدين. ولما حضر سنة ١٧٨٠ زواج اختهِ لم يمكنهُ ان يهديها غير شريطة بيضاء كان فصَّلها على قياس نطاق العذرا المحفوظ كذخيرة في قصر لوش (Loches) الملكي وكتب عليهِ هذه العبارة: «ايتها العذرا القديسة صلي لاجل عبدكِ الذليل الكاهن روبير غيرين دي روشه ١٧٨٠» وتحقَّق اخوهُ حالتهُ الفقريَّة المدقعة فاقتنعهُ بعد الالحاح الطويل ان يقبل من بيت عائلتهِ ستَّة قصان كان اليها في غاية الحاجة. لكنَّ رجل الله ما ابتعد قليلًا عن اهلهِ حتى فرَّقها على الفقراء في طريقهِ

وكانت تلك الايَّام تنذر بقرب الثورة فتُضبط املاك الأُسر الشريفة فقَدَ اهل الاب روبير دي روشه قسماً كبيرًا من ثروتهم فكتب الاب الى احد اخوتهِ الكهنة بمناسبة وفاة ابيهم الذي كان رجلًا ديِّناً ذا نزاهة غريبة ومحسناً كبيرًا للفقراء:

«قد بلغني انَّ اقاربنا فقدوا معظم املاكهم وهذا يكدّرني نظرًا لكم لا يَعنيني من امركم. امَّا انا فلا تشغلني الارضيَّات واقتنع بفقد كلّ ما لي مع انَّ الذين لم يحصلوا على غير الف فرنك لمعاشهم يرثون مالي. وغاية ما اروم ان احظى في الفردوس على مكان صغير. وقد يشير اليَّ بعض الاصحاب ان اوجّه فكري الى مستقبلي. فنعمَ المشورة لو ارادوا بالمستقبل الحياة الآخرة»

وفي السنة ١٧٨٢ تعيَّن الاب روبير كخادم معهد السلبتريار (la Salpêtrière) المتوط بمستشفى باريس العمومي فبقي هناك الى سنة وفاته. وهو يعلمنا باحدى رسائله انهُ قد عُهد اليهِ العناية بالمومسات المحكوم عليهنَّ وكان عددهنَّ ١١٥. وكان هناك ايضاً ستمائة امرأة حُبسنَ لجنايات شتى كان الاب يُعنى بشؤونهنَّ. وممَّا كان يعزّيهِ فئة من الفتيات البارَّات الصالحات اللواتي كنَّ ينقطعنَ هناك الى العبادة والشغل

٣ حلول الثورة والاستشهاد

وفي السنة ١٧٨٩ اخذت سماء السياسة الثوريَّة تزداد ظلاماً فحدثت تلك المظاهرات المهيّجة التي ارتعدت لها فرائص اهل الدولة ومحبي السلام. وكان الكهنة يسمعون اصوات الغوغاء الطالبين موت الاكليروس فعرفوا ما يحدق بهِ من الخطر. وممَّا كتبه في ٥ تشرين الثاني يقول:

« قد اصبحنا في زمن لم يبقَ لنا فيهِ غير الغزلة والدعاء الى الله. على انَّ حياتي منذ عدَّة سنين مملوءة كرباً ولا اجد حولي سوى مكروبين تمزّق اصواتهم مسامعي. ولكن لا يعدَّني احد كرجل باس. وقصوى بغيتي ان اعيش فقيراً كثير الشغل. فالحياة محفوفة بالاكدار واني اشكر الله على اني لم اتمتع بخيرات هذا العالم الزائل. فالارض قد دُعيت بوادي الدموع وهو تمام الاسم. وعلى رأيي انَّا عمَّا قليل سوف تنذرها البلايا والشدائد . . . فالتمس لي من الله ان يمنحني آخرة صالحة لأن ما مضى من حياتي هو أشبه باضغاث الاحلام »

لكنَّ هذه الاخطار لم تكن لتثني عزائمهُ فكان يتفانى في خدمة النفوس ويقضي الساعات الطويلة في كرسي الاعتراف حتى انهُ كان في بعض الأيام يصرف في هذا العمل تسع ساعات متواصلة (كما نصَّ عليهِ في رسالتهِ المؤرخة في ١٤ نيسان ١٧٩٠).

ثم زادت الاحوال حرجاً بتحامل اهل الثورة على الدار الاسقفيَّة وعلى المستشفيات والمعاهد الخيريَّة. فكان الاب روبير دي روشه في ارتياب أيمكنهُ ان يبقى في شغله او الافضل لهُ ان يخرج من فرنسة كما فعل الوف من الكهنة فراراً من شرور الثورة. وكان اخوهُ الاب بطرس اليسوعي سابقاً مثله وهو رئيس على معهد المرتدين حديثاً (Maison des Nouveaux Convertis) لا يعلم كيف تنتهي تلك النهضة

الثورية فيفكر في المنفى إلّا ان ذينك الراهبين الصالحين فضلا الثبات في ملازمة اشغالهما مع الخطر على حياتهما

ثمّ دخلت السنة ١٧٩١ فالتزم الاب روبير ان يخرج من المستشفى الذي كان يواظب على خدمته منذ عشر سنين وذلك على ما يظهر لسبب امتناعه عن الحلف خضوعاً لمرسوم الاكليروس المدنيّ النافي لحقوق الكنيسة

فعدل اوّلًا الى مأوى الآباء اليكبوشيين في شارع سان جاك ثم لحق باخيه الاب بيار في دار المرتدّين ولم يشأ ان يبقى فارغاً بلا شغل فكان يقضي أيامهُ بالصلاة وتوزيع الاسرار. وفي تلك الاثناء ألّف كتابهُ عن احوال الدين بين اليونان الذين عاش بينهم في الشرق فوجههُ على شبه رسالة لرئيس اساقفة باريس فأتمّهُ في سنة وفاتهِ وكان ذلك كمسك ختام حياتهِ الرسوليّة

فلما كان اليوم ١٣ من شهر آب سنة ١٧٩٢ هجم الشرط على دار المرتدّين وساقوا ما كان هناك من الكهنة وفي مقدّمتهم رئيس المعهد الاب بيار دي روشه واخوهُ مرسلنا الاب روبير واحد الكهنة من اقاربهما المدعو دي لاتند وحبسوهم في الدار الاكليريكيّة المدعوّة سان فيرمين بعد تحويلها الى سجن

قال وكيل الصروف في تلك الدار الكاهن بولنجيه (Boulangier) الذي نجا من ايديهم فكان شاهداً عيانيًّا لما جرى:

« سمعنا الساعة الثالثة مساء جلبةً عظيمة واذا بنحو خمسين رجلًا حاملين الاساحة دخلوا صارخين متهاتفين كأنهم قانصوا بغنيمة عظيمة وبينهم كهنة دار المرتدّين في مقدّمتهم الاب الرئيس بيار وهو رجلٌ مهيب متقدّم في السنّ وعريق بالفضيلة ولم يشأ تغيير بزّتهُ الاكليريكية فكان لابسًا الثوب الاكليريكي والرداء الاسود الطويل كأنهُ يريد ان يبيّن للجميع انهُ يتشرّف بقيادة اولئك الكهنة الفضلاء ليملؤا معهُ باعناهم ويدافعوا عن دينهم . . فأدخلوهم كلّهم في الغرف المعدّة لهم من اصحاب الدار واقاموا الحرس المشّحين على طرفي الممشى الذي كانوا يسكنونهُ وفي وسط الممشى جنديٌّ شاهر سيفهُ. وقد حُظر عليهم ان ينتقلوا من طابق الى آخر. وكانوا اذا تشكّوا الى جلّاديهم من هذه المعاملة السيّئة اليهم اجابوهم « اننا جمناكم هنا لخلاصكم من

غيظ الشعب» وهو بشر الجواب بعد ان نزعوا عنهم كل تهمة وهم يُسيئون اليهم الصنع مدَّعين انهم يطلبون لهم خيرًا»

فيتَّضح من هذه التفاصيل القليلة ما قاساهُ اولئك المحابيس مدَّة ثلثة اسابيع قبل موتهم . وقد روى اخبارهم الشاهد العياني الذي نجا من ايديهم بنوع عجيب فروى ما عاينهُ من قتلهم قال :

«جاء اولئك الاوباش في ثالث يوم من ايلول فتجوَّلوا في اطراف حبسهم وقادوا كلَّ من وجدوهُ ما خلا خمسة كهنة جعلوهم تحت حراسة الشريعة كما كانوا سبقوا ودبَّروا ذلك . فاخرجوا الشهداء الى الطريق حيث تجمَّع الشعب الذي لم يشأ ان يُقتلوا امامهُ فعادوا بهم الى داخل الدار وبدأوا بالجزرة . فكان اوَّل من قتلوهُ الاب فرنسيس رئيس دار سانت فيرمين رموهُ من نافذة الى الزقاق حيث وثبت عليهِ هناك نساء متسلِّحات ببلطات فاجهزن عليهِ وهو رجل من افضل الناس لم يصطنع نحو القوم الَّا كلَّ خير واحسان . ثم قطعوا رأس الكاهن غرو (Gros) خادم الرعية . ثم افظعوا بقتل الكاهن برتيه (Pottier) الذي طول ساعة عذاباتهِ لم ينقطع عن وعظهم وانذارهم . وكان بينهم احد اساتذة تلك المدرسة فطلب ان يسمحوا لهُ بتلاوة الصلاة الربيَّة فابوا واسرعوا بقتلهِ . وكان الكاهن كوبان (Caupène) مريضاً متهوكاً بالحمى فنزعوهُ من فراشهِ ورموهُ على الحضيض من نافذة غرفتهِ وكانوا كلَّما يقتلون واحدًا يصرخون : فلتحيَ الأمَّة»

ومثل هذه الميتة الشنيعة استشهد الاخوان اليسوعيَّان بيسار وروبر دي روشه . وكان روبر قبل ذلك بثماني عشرة سنة كاد يموت في سالونيك شهيدًا لايمانهِ ومحبَّتهِ وانَّما منحهُ الله ذلك الاكليل بعد ان استعدَّ لهُ بكل الاعمال الصالحة وزاد بها اجرهُ عند الله . فما لنا الَّا ان نرفع اليهِ تعالى دعاءنا طالبين بشفاعتهِ ان يسبغ نعمهُ على بلاد الشرق التي سقاها بعرق جبينهِ فيباركها ويؤلف قلوب ابنائها في وحدة الايمان وروابط الحب المسيحي